



الفصل الرابع

الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند.

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث على
مجتمع المسلمين.

المبحث الثاني: الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث على
مجتمع غير المسلمين.



المبحث الأول: الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث على مجتمع المسلمين.

حين تمضي مسيرة الدعوة في طريقها الصحيح، مهتدية بهدي خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم مستخدمة الأساليب والوسائل المناسبة، مجتازة العقبات التي تعرضها، سالكة سبل الارتقاء والنهوض، فلا بد -بعون الله- أن تثمر ثمارها اليانعة الزكية في الدنيا والآخرة. إن طريق الدعوة هو السير على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، باقتفاء أثر

المصطفى صلى الله عليه وسلم في دعوته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، فتكون الدعوة إلى الله عزوجل على بصيرة.

وإذا لم يحدد الداعي أهدافه من الدعوة إلى الله عزوجل، ولم يعرف الثمار اليانعة الذي سيقطفه، سار مترددة، وتقاعس عن عمله الدعوي، كالإنسان إذا أمر بالسير في طريق معينة دون بيان أي سبب لهذا المسير، ولماذا اختير هذا الطريق بالذات دون غيره، وما هي النتائج المتوقعة، فإنه يتردد ويتلأأ، وقد يفتر ويقعد عن السير، أما لو قيل له: اسلك هذا الطريق، وستجد في آخره بستاناً جميلاً، فيه أصحاب كرام، يرحبون بمن يفد عليهم ويكرمونه، لا ندفع مسروراً مطمئن النفس راغباً، ولقطع الطريق بقوة وعزم وبأقل وقت وجهد، لذلك فإن وضوح الهدف وانتظار الثمرة يوجهان النشاط ويدفعان للإنجاز، ويساعدان على النجاح^(٢).

هذا المثال يبين أن تعيين الهدف والثمرة المأمولة يجعل السلوك واعياً ومقصوداً في أي من أمور الدنيا، فكيف إذا تعلق الأمر بالدعوة إلى الله، التي مقصودها هداية الناس للخير والهدى، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

(١) يوسف: ١٠٨

(٢) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، ص ٨٩، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، دار الفكر.

ومن خلال المطالب الآتية أحاول -إنشاء الله- بيان جملة من دعوة مدارس أهل الحديث في جنوب الهند الآثار الحسنة والثمار الياقة.

المطلب الأول: الآثار الإيمانية:

إن أهم وأعظم آثار مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، هي الآثار الإيمانية، فيها تتحقق سعادتها في الدارين، وبها يتحقق خير الإنسانية وصلاحها في الدنيا والآخرة، لأن الإيمان له أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والعبد كلما كان أذلّ لله، وأعظم افتقاراً إليه، وخضوعاً له، كان أقرب إليه، وأعزّ له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق: أعظمهم عبودية لله" (١).

ولذلك سوف يوضح الباحث بعض الآثار الإيمانية للدعوة إلى الله تعالى بمدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ومنه ما يأتي:

أولاً: تحقيق العقيدة الإسلامية الصحيحة:

للعقيدة الإسلامية الصافية النقية المتلقاه من الكتاب والسنة مكانة عالية ورفعة في الدين، بل إن منزلتها فيه منزلة الأساس من البنيان، والقلب من الجسد، والأصل من هذه الشجرة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢).

ولاشك أن أساس كل خير ونشاط صالح على الإيمان بالله تعالى، وعبادته، ومحبته، وخوفه، ورجاءه كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)، "فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة ولا

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٩/١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٦٣.

يشرك به أحد من خلقه" ^(١)، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢)، وهذا الإيمان هو الأساس الصلب الذي يبنى عليه شخصية المسلم.

إن من آثار ثمرة الإيمان وتحقيق العبودية لله على شخصية المؤمن، تحريره من الخرافات والأوهام والأباطيل، والاتجاه بأهدافه وتفكيره وعواطفه وسلوكه إلى تحقيق الخضوع الكامل لله وحده تبارك وتعالى بالإخلاص في عبادته، والاستعانة به في السراء والضراء، والالتجاء إليه بالتوبة والاستغفار، كما يغرس فيه حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وحب المؤمنين وموالاتهم، لتصبح من حزب الله تعالى الذين قال فيهم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ^(٣).

والعبودية لله في الإسلام كما يوضحها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هي: "العبادة لله وهي الغاية المحبوبة له والمرضية له، التي خلق الخلق لها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾" ^(٤)، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾" ^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، ص ٧٧.

(٢) سورة غافر: ٦٥

(٣) سورة المائدة: ٥٥ - ٥٦

(٤) سورة الذاريات: ٥٦

(٥) سورة الأعراف: ٥٩

والدين الحق يقتضي تحقيق معنى العبودية، لأنه يتضمن معنى الخضوع أو الذل، والانقياد والاستسلام لله عز وجل، فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، بغاية المحبة له تعالى^(١).
وقد اعتنت مدارس أهل الحديث في جنوب الهند على تعليم أبناء الطلاب والطالبات العقيدة الصحيحة، وبيان معرفتها وأحكامها، وإيضاح أنواع التوحيد الثلاثة، مع بيان ما يضادها، وقامت مناهج التعليم وفق مراعاتها، فكان له أثر عظيم على الطلاب والطالبات وعلى المجتمعات المحيطة بهم؛ لأن الإصلاح المثمر في المجتمع لا يكون إلا على العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى الله قائمة على الهدى والبصيرة وأساسها أفراد الله بالعبادة.

ثانياً: غرس الإيمان العميق في قلوب الناس:

الإيمان في اللغة: قال في لسان العرب: والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم، وكذب به قوم، وهو مشتق من الأمن^(٢).
والإيمان في الشرع: "اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وهو بضع وسبعون شعبة"^(٣).

وقيل: "اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهو يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي"^(٤).

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية، ص ٤٨.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٢١/١٣.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، ص ٧٩، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، دار الثريا للنشر.

(٤) شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص ٤١٥، الطبعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار أطلس الخضراء. ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ٣١/١، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

والإيمان الذي ينبغي أن يكون في قلب المؤمن له جانبان مهمان، يصدق كل منهما الآخر:

الأول: الجانب الاعتقادي.

الثاني: الجانب العملي.

أ- الجانب الاعتقادي:

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ ءَالْمَلَائِكَةِ ءَالْكِتَابِ ءَالنَّبِيِّنَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل، أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))^(٤).

(١) سورة النساء: ١٣٦

(٢) سورة البقرة: ١٧٧

(٣) سورة البقرة: ٢٨٥

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلازمة الساعة، برقم ٨. وفي صحيح البخاري بلفظ آخر ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلغائه، ورسله وتؤمن =

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

ولذا كان متأكداً في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علماً وتعلماً وتحقيقاً.

ولا شك أن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول^(١).

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(٥) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا

بالبعث))، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، برقم ٥٠.

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الطبعة الأولى، ص ٧، ١٤٢١هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة النحل: ٩٧

(٣) سورة الإسراء: ١٩

(٤) سورة طه: ٧٥

يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١﴾، والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وأن الإيمان له عدة مراتب ودرجات، تشمل الأقوال الحسنة، وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))^(٢)، وأن الإيمان له طعم وحلاوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا))^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))^(٤).

فالعالم الشرعي يجعل المسلم يبدأ بتطهير قلبه وإصلاحه والعناية به، قبل أن يعتني بإصلاح ظاهره، ومتى ما أصلح المسلم قلبه بالأعمال الزاكية، والإخلاص، والصدق، والمحبة لله تعالى ولرسوله ﷺ استقامت جوارحه، وصلح ظاهره، وهذا من أعظم الآثار التي يزرعها الإيمان بالله في نفوس المؤمنين الصادقين^(٥).

كما أن الحث على التقوى وبيان فضل المتقين هو منهج من مناهج التعليم في مدارس أهل الحديث في جنوب الهند؛ لأن الحث عليها، والاستقامة على طريقها، يورث في نفوس

(١) سورة الكهف: ١٠٧ - ١٠٨

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم ٣٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، برقم ٣٤.

(٤) متفق عليه. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦. رواه مسلم،

كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣.

(٥) للاستزادة ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص

٢١٤، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية

السعودية.

المتقين منافع عظيمة، وثمار كريمة، وفوائد جمّة في الدنيا والآخرة، فمن آثارها حصول العلم النافع، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١). ومن آثارها الخروج من المحن، وتحصيل الرزق الطيب، وتيسر الأمور، ونيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، وحصول العاقبة الحميدة، وثمار التقوى لا تحصى، وفوائدها لا تستقصى.

ومن آثارها الإيمانية أيضا الرضا بقضاء الله وقدره، وعدم الجزع أو التسخط على أقدار الله وسننه، وهذا ما أنتج شريحة من الطلبة من ذوي النفوس الراضية المطمئنة التي لا تتمرّد على الأوضاع ولا على ما تلاقي من بلاء الدنيا لترسخ الإيمان في قلوبهم، ورضاه بقسمة الله وقدره.

ب- الجانب العملي:

وهو نتيجة وثمرّة لصدق الإيمان والاعتقاد "فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام"^(٢)، وقد تضافرت آيات القرآن التي تعد بالفوز لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾^(٣). والعمل الصالح هو "الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب"^(٤)، وعلى رأسه أركان الإسلام التي أوجب بها النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في الحديث المعروف فقال: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ١/١٠٩.

(٣) طه: ٧٥ - ٧٦.

(٤) العبودية، للشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٧٢.

رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً^(١).

كما تشمل الأعمال الصالحة ذات النفع المتعدي كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والقيام بفروض الكفاية والنوافل وغيرها.

وأهم هذه الأعمال بعد الشهادتين؛ إقام الصلاة وخاصة الفروض الخمسة، فيحرص

المسلم على المحافظة عليه وأدائه على الوجه المطلوب طاعة لله، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى

الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢)، ويستحضر عظمة الله حين

يقف بين يديه، ويتحلى بالخشوع والخضوع طمعا في وعده تعالى وثنائه في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

الْمُؤْمِنُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٣).

وأداء المسلم لصلاته على الوجه الصحيح له أثر عظيم في تقوية إيمانه، ومجاهدة نفسه

ونوازع هواه، لتحقيق المقصد والغاية السامية من مشروعيتها كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ﴾^(٤)، فيكون أبعد ما يكون

عن المنكرات والفواحش والمعاصي.

والركن الثالث بعد الصلاة المفروضة أداء حق المال: (الزكاة) الذي تطهر به نفسه من

آفة الشح والبخل والتعلق الشديد بمتاع الدنيا، وتزكو روحه، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٥)، فيبادر بإخراج زكاة ماله لينجو من الوعيد الذي

(١) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن

الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، برقم ٥٠. رواه مسلم، واللفظ لمسلم، كتاب

الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، برقم ٨.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) المؤمنون: ١ - ٢.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

(٥) التوبة: ١٠٣.

جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾^(١).

والركن الرابع صيام شهر رمضان، وترك شهوات نفسه وجسده، محتسبة ما عند الله من الأجر والمغفرة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه))^(٢)، ومجاهدة لنفسها حيث يتعلم في مدرسة الصوم تقوى الله وضبط النفس والتخلص من آفات القلب واللسان والجوارح، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة إلى أن يدع طعامه وشرابه))^(٣)، فالصوم ليس مجرد إمساك عن الطعام والشراب والشهوات، بل أساسه التقوى والمراقبة.

الركن الخامس: الحج، وهو أفضل الأعمال والقربات عند الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور))^(٤). ويعدل الجهاد في سبيل الله، وينوب عنه لمن لا يقدر عليه ومن لا يُكَلِّفُ به، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((يا رسول الله، ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور))^(٥). والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة

(١) التوبة: ٣٤ - ٣٥

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، برقم ٣٨. رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، برقم ٧٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، برقم ١٩٠٣.

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم ١٥١٩. ورواه مسلم، كتاب

الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم ٨٣.

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، برقم ٢٧٨٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))^(١). فهو يؤدي فريضته محتسبة عند الله عظيم المثوبة وغفران الذنوب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه))^(٢).

ويقيم المسلم عبادته لله على أركان العمل الصالح المقبول، وهما: الإخلاص والمتابعة، فهما مناط قبول العمل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: "والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان: أحدهما: أن لا يعبد إلا الله.

الثاني: أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع، لا يعبد به غير ذلك من الأهواء والظنون والبدع، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣)، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤)، قال: أخلصه وأصوبه... إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة"^(٥).

كما أن لأداء العبادات على الوجه الشرعي المطلوب آثار مباركة على الفرد والمجتمع من أهمها: حصول البركة في الأرزاق والأعمار، وانتشار العدل بين الناس، وسلامة الصدور

(١) متفق عليه. رواه البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، برقم ١٧٧٣. ورواه مسلم،

كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، برقم ١٣٤٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم ١٥٢١.

(٣) الكهف: ١١٠

(٤) الملك: ٢

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٧٢/١٠.

من الحقد والغل والحسد بين الناس، وانتفاء صور البيوع المحرمة أو الحد منها، وكذلك منع بعض الأعمال والأفعال المحرمة كالقمار، والميسر، والسرقه، والغصب، والرشوة، وغيرها، يقول تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١).

ومن الآثار أيضاً استقامة الطلاب والطالبات في عباداتهم، ونأيهم عن جانب الغلو أو التقصير، وبعدهم عن البدع والمحدثات في الأمور التعبدية، سواء المتعلقة بالصلاة والصيام والحج وغيرها، أو المتعلقة بفهم الدين.

ثالثاً: محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين:

ومن واجبات الإيمان ولوازمه محبة الله تعالى، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة عباده المؤمنين، ومحبة ما يحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح وتوابع ذلك، وبغض ما يبغضه الله ورسوله من الكفر والفسوق والمعاصي، وبغض أعداء الله من الكفرة والمشركين والعصاة والملحدين، فالحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله، أوثق عرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله تعالى، فمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مقدمة على محبة الأولاد والأموال والنفوس قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢)، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم"^(٣).

وأن حب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم تابع لحبه لله عز وجل، وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية، لأن الله هو المحبوب لذاته، وكل ما سواه مما يحب شرعاً

(١) سورة الجن ١٦.

(٢) التوبة: ٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٢٤/٤.

فمحبتة تابعة لمحبة الله عز وجل، فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم لأجل حب الله عز وجل، فإن الرسول إنما يحب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله^(١)، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان"^(٣).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))^(٤)، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله: ((أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر))^(٥).

ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا، لازمة لها، فإن الرسول إنما يحب موافقة لمحبة الله له، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه، فمن ادعى محبة النبي صلى الله

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠/٦٤٩، وينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، ص ٤٨، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة - الرياض.

(٢) سورة آل عمران: ٣١

(٣) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ص ٤٠١.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، برقم ١٥. رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، برقم ٧٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، برقم

عليه وسلم بدون متابعتة، وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "فلا تُنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، وامتنال أمرهما واجتناب نهيهما"^(٢).

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيره من خصال الإيمان، ومن علامات وجود حلاوة الإيمان في القلوب، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))^(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: معنى حلاوة الإيمان: "استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٤)، قال ابن رجب رحمه الله: "ومحبة الله سبحانه على درجتين إحداهما: فرض لازم وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له، محبة ما فرضه الله عليه، وبغض ما حرمه عليه، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والأهلين"^(٥).

(١) النور: ٤٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن، لعبد الرحمن السعدي، ص ٩٦٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٠.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ١٣/٢.

(٥) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ٥٠٢/١، الطبعة الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية.

ومن آثار الإيمانية الحب في الله والبغض في الله، والموالاتة في الله والمعاداة في الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله))^(١)، قال المباركفوري رحمه الله: "يجب المرء لا يحبه إلا لله أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري، بل محبته تكون خالصة لله تعالى، فيكون متصفا بالحب في الله وداخلا في المتحابين لله"^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان))^(٣)، أي أحب لأجله تعالى ولوجهه عز وجل مخلصاً، لا لميل قلبه وهوى نفسه، وأبغض لله لا لإيذاء من أبغضه له بل لكفره أو عصيانه^(٤)، قال يحيى بن معاذ: "وعلامة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء"^(٥). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله،

(١) رواه أحمد، ٣٤٦/١٣، برقم ٧٠٦٧، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٣٧٨/٥، برقم ٢٣٠٠. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١٠٣٣/٢، برقم ٥٩٥٢.

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، ٣١٢/٧، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨٠. صححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٧٢٨/١، برقم ٣٨٠. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١٠٣٤/٢، برقم ٥٩٦٥.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، لأبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ٢٨٥/١٢، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٦٢/١.

ومن أبغضهم أبغضه الله^(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه^(٢))).

قال المناوي رحمه الله: "لا يحبه لغرض إلا لغرض رضا الله حتى تكون محبته لأبويه لكونه سبحانه أمر بالإحسان إليهما ومحبته لولده لكونه ينفعه في الدعاء الصالح له وهكذا"^(٣).
فالحب لله هو الحب للمؤمن من أجل دين الله وطاعته وامتناله وأوامره لا لمصلحة دنيوية أو قرابة، والبغض عكسه، فهو بغض العاصي بسبب معصيته بقدر معصيته وبغض الكافرين والبراء منهم.

ولاشك أن من آثار مدارس أهل الحديث في جنوب الهند يميز المجتمع الإسلامي باقتداء سنة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتماد على الكتاب والسنة والسلف الصالح في جميع أمور الدين والدنيا، ومقاومة الموالاة والمعاداة بينهم لله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: الآثار الأخلاقية:

دعا الدين الإسلامي إلى مكارم الأخلاق، ونهى عن رذائلها، وجعل سعادة الدنيا والآخرة جزاء لمن التزم بأوامر الله واتعظ وتذكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، برقم ٣٧٨٣. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، برقم ١٢٩.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم ٦٦٠. ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم ١٠٣١.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ٢/٢٨٦، برقم ٣٤١٥، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

وَالْإِحْسَنَ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(١)، جاء في تفسير الآية الكريمة: "إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها"^(٢). وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها))^(٣)، ومن مقاصد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم إتمام مكارم الأخلاق بقوله: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(٤). وسوف يوضح الباحث بعض الآثار الأخلاقية التي يظهر في المجتمع المسلم من مدارس أهل الحديث في جنوب الهند، ومنها ما يأتي:

أولاً: يخلق الطالب والمسلم بأخلاق الإسلام وغرس الفضائل في نفسه:

تعتبر الأخلاق الفاضلة من أجمل ما يتحلى به الطالب والمسلم، وفضائل الأخلاق ومحاسنها موضوع واسع جداً، أساسه الصبر والحلم والرفق والرغبة في مكارم الأخلاق، وآثاره العفو والصفح عن المسيئين وإيصال المنافع إلى الخلق أجمعين^(٥)، وقد جمع الله تعالى ذلك في

(١) النحل: ٩٠

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ١٧/٢٨٠.

(٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللحيمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:

٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، باب السين، معمر بن راشد، عن أبي حازم رقم

٥٩٢٨، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية - القاهرة. وينظر: المستدرک علی الصحیحین، الحاكم

النيسابوري، كتاب الإيمان، حديث سمرة بن جندب، رقم ١٥١. وصححه الإمام الألباني رحمه الله

في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/٣٧٠، برقم ١٨٠١.

(٤) سبق تخريجه ص ١١٨.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، العلامة الإمام عبدالرحمن

بن ناصر السعدي، ص ٧٤، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار المنهاج.

قوله: ﴿ خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١).

إن أخلاق المسلم يزكو حين يطيع ربه، فلا ينطق لسانه إلا بالصدق، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢)، ويقتدي بنبيه صلى الله عليه وسلم حين يهذب كلامه وأفعاله، ويتحلى بالأدب والجود والكرم والشجاعة، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفه أصحابه بأنه: ((أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس))^(٣)، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً))^(٤)، كما يلبس ثوب الوقار والحياء، حين يعلم بأنه صلى الله عليه وسلم: ((أشد حياء من العذراء في خدرها))^(٥).

وإن احتسابه للأجر عند الله، وثقل الميزان به تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن))^(٦)، يترجمه سلوكه الكريم وتعامله الحسن مع من حوله، فيحسن خلقه لوالديه، ويتحلى بالرفق والرحمة بهما، وخفض الجناح والانكسار لهما، لقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ

(١) الأعراف: ١٩٩

(٢) التوبة: ١١٩

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، رقم ٦٠٣٣

(٤) متفق عليه، رواه البخاري كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، رقم ٦٠٣٥

ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٣٢١.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري كتاب الأدب، باب الحياء، رقم ٦١١٩. ورواه مسلم، كتاب الفضائل،

باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٣٢٠.

(٦) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن

الخلق، برقم ٢٠٠٢. وقال "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٥٣٥/٢، برقم ٨٧٦. وفي صحيح

الجامع الصغير وزاداته، ٩٨٤/٢، برقم ٥٦٢٨.

أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾^(١)، كما يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته وعطفه وشفقته للصغير، وتوقيره واحترامه للكبير، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا))^(٢).

إن الطالب المسلم الذي يدرك أهمية الأخلاق وحاجة الفرد إليها، لن يستثني أحدا من حسن التعامل، بل يسع أخلاقه الكريمة كل من حوله اتباعاً لوصيته صلى الله عليه وسلم التي كان يوصي بها أصحابه رضي الله عنهم: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع الحسنه السيئة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن))^(٣).

ثانياً: اجتناب رذائل الأخلاق والترفع عنه:

إن الدعوة الإسلامية لا تقف عند حد غرس الأخلاق الحسنة، بل تعنى كذلك بتطهير من الأخلاق السيئة وتنفير منها، وتأمّر بتجنبه حتى لا يتأثر المجتمع من آثارها السيئة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى:

(١) الإسراء: ٢٤ - ٢٥

(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في رحمة الصبيان، برقم ١٩١٩، وقال "هذا حديث غريب". وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٢٣٠/٥، برقم ٢١٩٦. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٩٥٨/٢، برقم ٥٤٤٥.

(٣) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معاشره الناس، برقم ١٩٨٧، وقال "هذا حديث حسن صحيح". وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٣٦١/٣، برقم ١٣٧٣. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٨١/١، برقم ٩٤.

(٤) النحل: ٩٠

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ (٣٣)، وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّهُ بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)) (٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)) (٤).

إن من أهم الآثار الأخلاقية إذا علم المسلم أن دينه يحثه على التحلي بمعالي الأخلاق، وبقدر تحليه يكون قرب يوم القيامة من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يبعده سوء الخلق ويقصيه عنه ويغضه فيه، فقد قال: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم

(١) الأعراف: ٣٣

(٢) الحجرات: ١١ - ١٢

(٣) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في اللعنة، برقم ١٩٧٧، وقال: "هذا حديث حسن غريب". وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٩٤٩/٢، برقم ٥٣٨١. وفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٢٧٥/١، برقم ١٩٢.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري كتاب الأدب، باب ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّهُ بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات: ١٢)، رقم ٦٠٦٦. ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوه، رقم ٢٥٦٣.

القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون^(١)))^(٢)، فهذا يثمر - بإذن الله - سلامته وطهارته من سوء الخلق الذي يشينه، فهو يتعد عن قذع الكلام لعلمه بأن الله يبغض صاحب البذاءة والسوء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإن الله ليبغض الفاحش البذيء))^(٣)، وأنه صلى الله عليه وسلم: ((لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً))^(٤)، وأن سوء الخلق يجلب بغض الناس ونفورهم منه، بل إن سيء الخلق الذي يتقي الناس فحشه يكون من شر الناس منزلة عند

(١) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق، والمتشدقون هم: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل المتشدق: المستهزئ بالناس، والمتفيهقون: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، وهذا من الكبر والرعونة. ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، ١٣٦/٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم ٢٠١٨. السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار، رقم ٢٠٧٩٩، قال الإمام الترمذي رحمه الله "هذا حديث حسن غريب". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٤١٩/٢، برقم ٧١٩. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٤٣٩/١، برقم ٢٢٠١.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم ٢٠٠٢. وقال "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٣١٢/٣، برقم ١٣٢٠. وفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش، ٢٠٩/٨، برقم ٥٦٦٤.

(٤) متفق عليه. رواه البخاري كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم ٣٧٥٩. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٣٢١.

الله يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء شره))^(١).

كما أن مساوئ الأخلاق يصد صاحبه عن الخير واتباع الهدى والأعمال الصالحة، والكرم والسخاء والإنفاق في سبيل الله، وصاحب النفس المتكبر يمنعه كبره من قبول الحق والتواضع للمسلمين، و البذيء اللسان ييغضه الله تعالى ويغضه الناس.

يقول ابن القيم رحمه الله في أهمية إزالة المنكر ليغرس المعروف: إن "قبول الحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغ من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان، فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات... كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع، لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه، إلا إذا فرّج لسانه من النطق بالباطل، وكذلك الجوارح"^(٢).

فالنفس التي تملأ بالقبيح من الأخلاق، لا يمكن شغلها بالمكارم والمعالي، إلا بتفريغها مما اعتادت عليه من هذه الرذائل، وهذا يؤكد ضرورة العناية بتحصيل هذه الثمرة.

المطلب الثالث: الآثار السلوكية

السلوك لغة، يقال: سلك المكان سلكاً وسلوكاً، وسلك الطريق إذا سار فيه متبعاً إياه، وسلك الشيء في الشيء: أدخله فيه فدخل^(٣)، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٤)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: سلكناه؛ أي: أدخلناه^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، رقم ٦٠٣٢.

(٢) الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ص ٢٩، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ص ١٥٢، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.

(٤) الشعراء: ٢٠٠

(٥) تفسير ابن كثير، ١٦٤/٦.

والسلوك الإنساني عند علماء النفس هو: "جميع أوجه النشاط التي يقوم بها الإنسان وتصدر منه، والتي يستطيع هو أن يلاحظها، أو يلاحظها شخص أو أشخاص آخرون، وقد يكون السلوك ظاهرًا يسهل علينا ملاحظته، وقد يكون غير ظاهر"^(١).

وسلوك الإنسان في حقيقته "عبارة عن نتاج للتفاعل الحي المستمر بين الإنسان بما فيه من ميول وحاجات ونوازع، وبين البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها بظروفها المتنوعة، والتي تؤثر في سلوكه، وتجعله يغيره بصور متعددة، تبعًا لما يجد من شعوره بألم ولذة، أو إشباع لحاجات ورغبات، أو كبت وإحباط لها، بما يؤثر بمجموعه على شخصيته وسلوكه"^(٢).

وأن أساس أي سلوك حسن، هو تقوى الله ومراقبته وأن يُبتغى به وجهه تعالى وفق شرعه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصابعه إلى صدره))^(٤).

فهذا يدل على أهمية التقوى والإيمان المنبعثين من القلب، قال الإمام النووي رحمه الله: "إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته"^(٥).

(١) علم النفس التربوي، د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور وآخرون، ص ٢٢-٢٣، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان.

(٢) ينظر: أسس التربية الإسلامية، د. عبدالحميد الزنتاني، ص ٥٥٤، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

(٣) الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله رقم ٢٥٦٤.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ١٢١/١٦.

ولدعوة مدارس أهل الحديث في جنوب الهند آثار عظيمة من الجانب السلوكي؛ منها:

أولاً: تحقيق الوسطية في السلوك الديني:

وصف الله الأمة الإسلامية بالوسطية في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)، قال صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: ((الوسط: العدل))^(٢)، والمعنى: "أنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلم يغلوا كغلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال"^(٣). ومنهج المسلم في حياته كله يسير على الاعتدال، الذي يسلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير اتباعاً لأمره تعالى بالتوسط والتوازن في أمور الحياة كله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٤)، فيتوسط ويعتدل في ينعمه بنعم الله عليه، فلا يستغرق فيه فيشغله عن آخرته، ولا يحرم على نفسه الطيبات من الرزق، بل يتناول المباح منها من غير إسراف. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالتوسط والقصد في أعمالهم، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة)^(٥)،

(١) البقرة: ١٤٣

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، برقم ٤٤٨٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٧٣/٨.

(٤) الإسراء: ٢٩

(٥) الغدو: السير من أول النهار، والرواح: السير من أول النصف الثاني من النهار، والدلجة: سير

الليل، وفيه إشارة إلى الحث على الرفق بالعبادة. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد

بن علي بن حجر العسقلاني، ٢٩٨/١١.

والقصد القصد تبلغوا^(١). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في قوله: سددوا وقاربوا: أي: "لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة؛ لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملal، فتتركوا العمل تفرطوا"، ومعنى: القصد القصد: "ألزموا الطريق الوسط المعتدل"^(٢).

والأصل في أمور الدين الاتباع للهدى النبوي، لا الابتداع فيها، وكمال السلوك الديني إنما يكون بالاتباع الأمثل لأحكام الله ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية والعملية والتقريرية، فما نقص عن درجات الكمال في السلوك، كان تقصيراً وزهداً في مرتبة البر والإحسان، وما نقص عن ذلك في دائرة التقوى، كان تفریطاً وتهاوياً ومعصية لله تعالى، أما ما زاد على الاتباع الأمثل وعلى كمال هذا السلوك، فهو غلوّ وتجاوز لحدود كمال السنة، وإذا كان هذا الزائد من غير جنس ما أذن به الشارع عمومًا، فهو ابتداع مرفوض حتمًا، وهو ضلالة^(٣).

ومن نماذج تحقيق الطالب والمسلم للوسطية في السلوك الديني: توسطه في أمور العقيدة، كاعتداله وتوسطه في الولاء والبراء، فتوالي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وتحبهم وتنصرهم، وتبترأ من الكفر والكافرين وأعمالهم، وتعادىهم وتبغضهم، ولا تفرط في منح ولائه لمن لا يستحقه، أو توالي المسلمين مع ظلمهم والجور عليهم، أو توالي على غير أساس الدين، ولا تتهاون في تبرؤه من الكفار، فتميل إليهم وتداهنهم، أو تغلو في ذلك فتظلمهم^(٤).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم ٦٤٦٣، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم ٢٨١٦.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١١/٢٩٧-٢٩٨.

(٣) بصائر للمسلم المعاصر، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢٦٥، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٤) ينظر: جامع الرسائل: شيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة الثانية الرسالة الثالثة: قاعدة في المحبة ص ٣٨٤، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/١٩٨٤ م دار المدني، جدة. وتيسير

وتحقق الوسطية في عبادته، فلا تغلو فيها بالإطالة والإكثار منها إلى حد السامة ونفور النفس، أو تغلو في النوافل، فتضيع بها الفرائض، أو تضيع حقوق الناس بسببه، ولا تفرط فيها بحيث تنحصر كل همومها بالدنيا وما فيها من الشهوات والرغبات، وتنسى الآخرة والإعداد لها، وقد وجّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى وجوب لزوم الاعتدال والوسط في العبادة، فقد ((دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين السارين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»))^(١).

كما جاء في الصحيحين أنه دخل صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة فقال: ((من هذه؟ قالت: فلانة لا تنام بالليل، فذكر من صلاتها، فقال: مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا))^(٢).

وقد جاء في حديث: ((أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه. فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج

العزیز الحمید فی شرح کتاب التوحید ص ٤٨٠. والولاء والبراء من مفاهیم عقيدة السلف، محمد

بن سعید بن سالم القحطاني، ص ١٠، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ دار طيبة، الرياض.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في الصلاة، رقم ١١٥٠، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في الصلاة، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، رقم ٧٨٤.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في الصلاة، رقم ١١٥١، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في الصلاة، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، رقم ٧٨٥.

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني^(١).

كما تكون وسطاً بين الإفراط والتفريط في أخلاقه وتعامله مع الناس، "فلأخلاق حد متى تجاوزته صارت عدواناً، ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانة... فالجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز حده صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً، وللشجاعة حد متى جاوزته صار تهوراً، ومتى نقصت عنه صار جبناً وخوراً"^(٢).

ومن تحقيق الوسطية في الدين السير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترخص به من العزائم تسييراً على الأمة، وعدم التشديد على النفس بالأخذ بها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً، فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيباً، فقال: ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه، فكرهوه وتنزهوا عنه، فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية^(٣)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا^(٤))).

ثانياً: التميز بالمحافظة على آداب الإسلام في مظاهر الحياة:

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على التميز في الشخصية، بنية الخير وتوطين النفس عليه دائماً، والبعد عن اتباع الآخرين في كل الأمور، فقال صلى الله عليه

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من

عجز عن المؤن بالصوم، برقم ١٤٠١.

(٢) ينظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية، ص ١٣٩.

(٣) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم ٦١٠١،

وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ٢٣٥٦، واللفظ له.

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة

والعلم كي لا ينفروا، رقم ٦٩، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في الأمر بالتيسير، وترك

التنفير، برقم ١٧٣٢.

وسلم: ((لا تكونوا إمعة^(١)، تقولون إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا))^(٢)، فهذا الحديث فيه "إشعار بالنهي عن التقليد المجرد، حتى في الأخلاق فضلاً عن الاعتقادات والعبادات"^(٣).

ومن مظاهر هذه الثمرة استقامة الطالب على آداب وقيم وأخلاق الإسلام في جميع جوانب حياته، في داخل مدرسته وخارجه، فهي يلتزم بالأدب مع الله تعالى، فيشكره على نعمه، ويستحي منه تعالى أن يراه على معصية، ويتأدب مع كلامه، فيتلوه ويحفظه، وهو في أكمل الحالات من الطهارة والوقار والخشوع والتدبر.

كما يتأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته واقتفاء أثره، وحبه وتوقيره وإجلاله إذا ذكر اسمه، والصلاة والسلام عليه، والعمل على إحياء سنته وإظهار شريعته وإبلاغ دعوته.

كما يتحلى بالأدب مع الخلق كلهم، فتبر والديه ويطيعهما ويحسن إليهما ويوقرهما، ويخفض الجناح لهما، ويدعو ويستغفر لهما، ويلتزم بآداب الإسلام مع أقربائه وجيرانه، فيصلهم ويحسن إليهم، ويبرهم ويكرمهم بإسداء المعروف لهم، والامتناع عن كل ما يؤذيهم،

(١) الإمعة: الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه، وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا معك. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ٦٧/١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، رقم ٢٠٠٧ وقال رحمه الله: "حديث حسن غريب". وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص ٩٠٥، رقم ٦٢٧١.

(٣) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٢٣/٦هـ)، ١٢٣٣.

والتمسك بآداب الحياة الاجتماعية العامة في مجالستها للآخرين، فتراعي آداب السلام والاستئذان والطعام والنوم...^(١).

تتميز طلاب مدارس أهل الحديث في جنوب الهند بالوسطية في فكرهم، ومعتقدهم، وسلوكهم وعباداتهم، وهذا الأثر من أعظم المكاسب الدعوية في ظل ما تشهده الأمة الإسلامية من مظاهر الغلو والتقصير في كثير من مناحي العبادة والمعاملات.

ثالثاً: تجنب السلوكيات الخاطئة وتنزهه عنها:

لا تكتفي الدعوة الإسلامية بغرس القيم والأخلاق الحميدة في نفس المسلم فحسب، بل تعمل على وقايتها من السلوكيات المخالفة لمقاصد الشريعة الإسلامية، كما تعمل على تهذيب خلقه وتركيبه نفسه، كتطهيره من آفات اللسان والجوارح، فتكف لسانه عن فضول الحديث والكلام الذي لا نفع من ورائه، لأن كثرة الكلام في غير النافع يوقعه في الأخطاء والآثام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبينا ضرورة حفظ اللسان وأن ذلك من سبل النجاة: ((املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك))^(٢)، كما تتجنب فاحش الكلام من الغيبة والنميمة والكذب.

أن التزام الطالب والمسلم بآداب الإسلام، سوف يحفظ جوارحه من الوقوع في الإثم، فيزكي بصره وسمعه عن المعاصي، فلا يتبع عورات الناس وعيوبهم، ويتجنب كل ما يوقع الخلاف والفرقة والعداوة والبغضاء بينه وبين إخوانهم المسلمين، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ

(١) ينظر للاستفادة منهاج المسلم: الشيخ أبو بكر الجزائري ص ٧٤-١٣٢، الطبعة الثامن ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، دار الفكر.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم ٢٤٠٦، وقال " هذا حديث حسن". وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٥٥١/٢، رقم ٨٩٠. وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢٩٥/١، رقم ١٣٩٢.

يَنْبَغُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكْ بِعَصَ الظَّنِّ إِنَّهُ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾، فتنتزه عن هذه القبائح المحرمة المنهي عنها،
من سخرية ولمز وسوء ظن بالمسلمين وتحسس عليهم وغيبتهم، وكل ما هو فسق، لما في هذه
الردائل من احتقار الآخرين وتوريث الأحقاد والضغائن وقطع لأواصر الأخوة الإيمانية.

المطلب الرابع: الآثار العلمية.

يعتبر العلم من الأسس الهامة في المنهج الإسلامي، ولذلك جاء الترغيب في طلبه
والحث على التزود منه، بل وقُدِّم على العمل، إذ هو شرط لصحته، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢)، وترجم عليه الإمام
البخاري رحمه الله باب: العلم قبل القول والعمل "أراد به أن العلم مشروط في صحة القول
والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل"^(٣).
وللعلم في الإسلام شأن ومكانة كبيرة، وفضائله في القرآن والسنة متضافرة كثيرة، وقد
مدح الله العلم وأهله، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)،
قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "الذين يعلمون أن ما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب
حق والذين لا يعلمون ذلك .. لا استواء بين العلم والجهل، ولا بين العالم والجاهل"^(٥)، فلا
يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، كما لا يستوي الحي والميت، والسميع والأصم، والبصير

(١) الحجرات: ١١ - ١٢

(٢) سورة محمد: ١٩

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١/١٦٠.

(٤) سورة الزمر: ٩

(٥) فتح القدير، للإمام الشوكاني. وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان

بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، ١٢/٨٩،

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت.

والأعمى، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، وإنما كان المطيع هو العالم، لأن العلم هو الذي رسخ في القلب، تأصل بعروقه في النفس، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته، فظهر أثره على الأعضاء، لا ينفك شيء منها عن مقتضاه^(٢).

ومما يدل على شرف العلم وفضله، أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

وهو إرث الأنبياء، من أخذه وتعلمه وعمل به ونشره، فحظه وافر منه، بل تبقى بركته ويكتب أجره حتى بعد الموت، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(٤).

ولمدارس أهل الحديث في جنوب الهند ثمرات علمية زكية من أهمها ما يأتي:

أولاً: نشر العلم الشرعي وانتفاء الجهل:

يعد العلم الشرعي سبباً لمرضاة الله تعالى، وسبباً للحياة الطيبة والسعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا نجد أهل العلم محل الشاء والتقدير والقبول عند أفراد المجتمع، وهذا رفعة لهم في الدنيا، أما في الآخرة، فهم يرتفعون درجات حسب ما قاموا به من العمل بما علموا، قال

(١) سورة هود: ٢٤

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، ٢٨٢/٨، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) طه: ١١٤

(٤) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١

تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به من العلم والإيمان^(٢).

فسعادة العلم "هي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره، وفي دوره الثلاثة، أعني: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وبها يترقى معراج الفضل ودرجات الكمال"^(٣)، ولنشر العلم الشرعي في المجتمع آثار مباركة منها:

(١) أن يعرف المسلمون العقيدة الصحيحة، ويرسخ إيمانهم بها، وتنزل الشبهات من قلوبهم، كما يتعلمون أحكام الحلال والحرام وكل ما يحتاجونه من أحكام العبادات والمعاملات.

(٢) أن العلم يساعد على تقويم السلوك، وتهذيب النفوس، وبه تكون النجاة من الشرور على اختلاف أنواعها، فالعلم يحفظ صاحبه من موارد الهلاك، ويجنبه مداخل الشيطان، ويحجزه عن المعاصي والانحراف، لأن الإنسان لا يلقي نفسه في هلكة ولا يعرضها لتلف إلا إذا كان جاهلاً، وقد قيل: "العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال"^(٤).

(٣) نشر العلم يدفع ضده وهو الجهل، الذي يعد من الأسباب الرئيسة في الانصراف عن الحق ورده والبعد عنه، فالجهل والظلم هما أصل كل شر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٥)، والعلم والعدل أصل كل خير^(٦).

(١) المجادلة: ١١

(٢) تيسير الكريم الرحمن، لعبد الرحمن السعدي، ص ٨٤٦.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية ١٠٨/١.

(٤) المرجع السابق، لابن القيم الجوزية، ١٢٨/١.

(٥) الأحزاب: ٧٢

(٦) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية ٤٨٢/٣.

والجهل من أعظم الأسباب الصادة عن سبيل الله، والمؤدية للوقوع في المحرمات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل ما يوقع الناس في السيئات هو عدم علمهم بكونها تضرهم ضررا راجحا، أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً، ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم: (كل من عصى الله فهو جاهل)، ولهذا يسمى حال فعل السيئات: الجاهلية، فإنه يصاحبها حال من حال الجاهلية"^(١).

ويقول في موضع آخر: "وأما السيئات، فمنشؤها الجهل والظلم، فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة، إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة، أو لهواه وميل نفسه إليها، ولا يترك حسنة واجبة، إلا لعدم علمه بوجوبها، أو لبغض نفسه لها"^(٢)، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعا أن ذلك يضره ضررا راجحا، انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن الله تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها، وبغضا لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضررا راجحا، بل متى فعلت كان لضعف عقل^(٣).

٤) العلم يغرس التقوى والخشية من الله تعالى في قلوب عباده، وقد امتدح الله العلماء بهذه الخصوصية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، فهو سبحانه قد عيّن في هذه الآية أهل خشيته، وهو العلماء به وتعظيم قدرته^(٥).

ثانياً: العمل بمقتضى العلم:

لا يكفي أن ينشر الداعي العلم بين الناس فحسب، وإنما يجب تطبيق الناس هذا العلم وظهور بركته في حياتهم، عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملة، لأن هذه هي ثمرة العلم ونتيجته،

(١) ينظر: الحسنة والسيئة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ص ٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠

(٣) المرجع السابق، ص ٦١

(٤) فاطر: ٢٨

(٥) فتح القدير، للشوكاني، ٣٩٩/٤.

وحامل العلم كالحامل لسلحه، إما له وإما عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((والقرآن حجة لك أو عليك))^(١)، "أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك"^(٢)، وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به^(٣).

وتزكية النفس بالعلم الشرعي مشروطة بالعمل، فليس العلم النافع أن يملأ الإنسان عقله بالمعلومات والمعارف المتنوعة؛ بل لا بد أن يؤدي إلى أعمال بالجوارح، يرتقي بها المسلم إلى درجة العلماء، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ اللَّابِبِ ۖ﴾^(٤) ففي الآية الكريمة "إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، إذ عبّر عنهم أولاً بالقانت، ثم نفى المساواة بينه وبين غيره، ليكون تأكيداً له وتصريحاً بأن غير العامل كأنه ليس بعالم"^(٥).

والعلم ليس بمقدار ما يحفظه الإنسان من المسائل، بل ما وعاه عقله وتيقنه قلبه، وظهر أثره على جوارحه، وذلك أن "العلم علمان: علم في القلب وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده"^(٦)، وقد أنكر الله تعالى على أهل الكتاب مخالفة أفعالهم لأقوالهم وعلمهم فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٧).

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم ٢٢٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ١٠٢/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ٦٣٧/٤.

(٤) الزمر: ٩

(٥) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، ٢٨٢/٨.

(٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٣/٧.

(٧) البقرة: ٤٤

وشدّد في السؤال يوم القيامة عن مصير هذا العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه))^(١)، وقد ثبت من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها))^(٢).

- (١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في القيامة ، رقم ٢٤١٧. وسنن الدارمي، المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة ، رقم ٥٥٤. وقال الإمام الترمذي رحمه الله: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٢/٦٢٩، برقم ٩٤٦.
- (٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم ٢٧٢٢.

المبحث الثاني: الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث في جنوب الهند على مجتمع غير المسلمين

مما لا مرية فيه أن مدارس أهل الحديث في جنوب الهند لها آثار دعوية طيبة على المجتمع المسلمين وغير المسلمين، وقد تناولنا بعضها في المبحث الأول ما كانت متعلقة بالمجتمع المسلمين، وستتناول في هذا المبحث بعضها الآخر التي تتعلق بمجتمع غير المسلمين وذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول: دخول غير المسلمين في الإسلام .

لما كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية وليست مقتصرة على المسلمين فقط قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَلَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ ﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۚ ﴾^(٢)، وقال ﷺ : ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة))^(٣).

فأحس هذا الأمر الجليل بعض القائمين على هذه المدارس حيث أقاموا بعض المعاهد والأقسام فيها^(٤) لتأهيل وتنقيف الدعاة وتدريبهم على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام مع بيان ما يحتاجون إليه في دعوتهم من الوسائل المفيدة والأساليب النافعة وكيفية استخدامها حسب الأزمنة والأمكنة، كما يبعث هؤلاء الدعاة في الخارج إلى المناطق المجاورة

(١) آل عمران: ١٩

(٢) الأنبياء: ١٠٧

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، رقم ٤٣٨ .

(٤) كما في جامعة دار السلام بعمروآباد باسم "معهد مقارنة الأديان"، ومن الجدير بالذكر أن الطلاب يسافرون إليها من جميع أنحاء الهند لتدريب أنفسهم وتأهيلهم في دعوة غير المسلمين خاصة .

للدعوة إلى غير المسلمين، فكم من هندوس أسلم وأهتدى إلى صراط مستقيم بعدما كان منغمساً في الظلم والضلal المبين بعبادة الأصنام والأوثان، وكم من نصرائي عاش حياة سعيدة في ظل الإسلام بعدما عرف الحق وبطلان ما كان عليه من عقيدة التثليث، وهذا كله بعد فضل الله ثم بسبب جهود هؤلاء الدعاة المخلصين المتأهلين والمتخرجين في هذه المدارس الإسلامية .

ولا شك أن الدعاة المؤهلين المخلصين عامة هم قليلون في كل زمان ومكان، وهم الغرباء من الناس يقول ابن القيم: "فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جداً سُمُّوا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات. فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء. وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة -الذين يميزونها من الأهواء والبدع - منهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة. ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين"^(١).

والجتماع الهندي منذ زمن استقلال الهند عام ١٩٤٧م إلى يومنا هذا يعاني بقله الدعاة المتخصصين في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وفي الحقيقة هؤلاء الدعاة قليلون جداً، وهذا عائق كبير في سبيل الدعوة الإسلامية، فيا ليت لو يفكر حكماء المسلمين وأمرائهم في هذا الجانب، ويتحملوا مسؤولية كفالة بعض الدعاة المؤهلين المتخصصين في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام لأسلم كثير منهم بفضل الله عز وجل.

المطلب الثاني: إزالة الشبهات التي تتعلق بالإسلام والمسلمين .

إن من أهم الآثار الدعوية لمدارس أهل الحديث بجنوب الهند، هي إزالة الشكوك و الشبهات وتفنيد الردود التي أثارت حول الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء من الهندوس والنصارى وغيرهم إذ أنهم يشككون في ذات الله تارة ، وفي أخلاق الإسلام تارة أخرى،

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ١٨٦/٣.

بأنه دين إرهابي، وليس هناك شيء باسم العدل بين الرجال والنساء، كما يشككون في نظام تعدد الزوجات أحياناً، وفي أكل لحوم الحيوانات وأخرى .

فقد تنبه لهذا الأمر خريجو هذه المدارس بجنوب الهند حيث أزالوا هذه الشكوك والشبهات والردود عبر محاضراتهم وكتابتهم ودروسهم وهذا لا يمكن إلا بعد معرفتهم بدين الإسلام برحمته وسماحته وعدله، وكذلك إلمامهم بديانات الأعداء من الهندوس والنصارى وغيرهم إلمام تام، وكذلك معرفتهم بمصادرهم الأصلية وكتبهم المقدسة بزعمهم، وما تحتوي هذه المصادر والكتب من الحقائق المتوافقة مع الإسلام، وما جاء فيها من العقائد الباطلة والأفكار الضالة، ومن ثم كيفية الرد عليها وعلى جميع الشكوك والشبهات التي أثرت حول الإسلام والمسلمين بحجج عقلية ونقلية وبإجابات شافية وكافية بمنهج علمي سليم حتى لا يفشلوا في دعوتهم إلى الإسلام.

ومن الملاحظ أن كثيراً من الأعداء أسلموا بعد ما عرفوا حقيقة الإسلام، وأن ما أثرت حوله وحول المسلمين من الشكوك والشبهات لا قيمة لها أصلاً وإنما هي من باب الافتراءات والضلالات، ومن الكذب والبهتان، ومن باب تلبيس الحق بالباطل كما هو شأن أعداء الحق في كل زمان ومكان^(١).

المطلب الثالث: تأثير كثير من غير المسلمين بأخلاق الإسلام .

إن المتأمل في تاريخ الهند يجد أن الدعوة الإسلامية الغراء التي ظهرت في ديار شبه القارة الهندية بسبب تجار العرب المسلمين المخلصين الذين حملوها على كواهلهم ونشروها بأخلاقهم السامية ومعاملاتهم العالية، فلما رآهم أهل الهند أنهم أركى الناس خلقاً، وأسماهم طينة، وأعلاهم معاملة، وأوفاهم عهداً، تأثروا بذلك تأثراً بالغاً حتى أدى ذلك إلى إسلام كثير من أهل الهند والفوز بسعادة الدنيا والآخرة^(٢).

(١) ينظر كمثال : ردود الداعية أرشد بشير على أعداء الإسلام (خريج جامعة دار السلام بعمراباد وخريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وله موقع بعنوان (www.AskIslampedia.com) .

(٢) انظر: التنصير في ولاية بيهار في الهند وسبل مواجهته، إبراهيم بن عبد الغفور، ص: ٨١-٨٢ رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية لنيل درجة العالمية الماجستير، عام ١٤٢٨ هـ .

ولا شك أن مدارس أهل الحديث بجنوب الهند بمجموعها قد بذلت جهودها الجبارة في نشر أخلاق الإسلام السامية وذلك بإقامة الدروس والمحاضرات لغير المسلمين في سيرة النبي ﷺ وأخلاقه، وبالإشراف على الندوات والمؤتمرات والملتقيات المتعلقة بأخلاق الإسلام السامية، كما ينشر هذه الأخلاق عبر الجرائد والمجلات والأخبار الإعلامية هذا من جانب، ومن جانب آخر فلما كان خريجوا هذه المدارس وطلابها ودعاتها إلى الإسلام متصفين بأخلاق الإسلام الحميدة وصفاته العالية تأثر بهم كثير من غير المسلمين واهتدوا إلى طريق مستقيم ونالوا به سعادة الدنيا والآخرة

ولا شك إن حاجة المسلمين اليوم في الهند عموماً وفي جنوب الهند خصوصاً تشتد إلى مثلٍ عليا يقتدون بها، ويقتفون آثارها ويحذون حذوها، وذلك بسبب ضعف فهم الناس للدين، وقلة تطبيقهم له، ولغلبة الأهواء، وإيثار المصالح العاجلة، مع قلة العلماء العاملين والدعاة الصادقين؛ لذلك تضاعفت حاجة المسلمين في مختلف أوساطهم وطبقاتهم إلى قدوات وريادات تكون أنموذجاً واقعياً ومثالاً حياً، يرى الناس فيهم معاني الدين الصحيح علماً وعملاً وقولاً، فيقبلون عليهم وينجذبون إليهم حيث إن التأثير بالأفعال والأحوال أبلغ وأشد من التأثير بالكلام وحده، وقد قيل: شاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

قال الدكتور عبد الرحيم المغذوي: "الناس بطبيعتهم يتطلعون إلى الإنسان المتصف بصفات الإيمان والمتحلي بأخلاق الإسلام الحسنة، وصاحب المسالك والأفعال الحميدة، الذي يحب الخير للناس، ويعد الشر عنهم، ويصدقهم في معاملاتهم وعلاقاتهم" (١).



(١) وسائل الدعوة، الدكتور عبد الرحيم المغذوي، ص ٢٠٥.